

صورة النبي -صلى الله عليه وسلم- في ديوان " الدرُّ المُنظَّم في مدح النبيِّ الأعظم"

للحميدي - دراسة تحليلية

د. أميرة بدوي محمد

مدرس الأدب العربي القديم بقسم اللغة العربية بكلية التربية -جامعة عين شمس - مصر

amira_badwe@edu.asu.edu.eg

المستخلص :

يُعد المديح النبوي من أصدق أنواع المديح نبياً وأكثرهم إخلاصاً، فهو وسيلة الشعراء للتقرب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنيل القبول والشفاعة للنجاة في الدنيا مما يحيطهم من أذى وذنوب، وأيضاً في الآخرة من هول يومٍ عظيم. وقد سار الحميدي في ديوانه على درب من سبقه من شعراء المديح النبوي، وقد تجلت صورة النبي الأعظم في هذا الديوان في محاور مختلفة أبرزها هذا البحث. وقد عرض البحث التعريف بصاحب الديوان، وأيضاً التعريف بالديوان نفسه، ثم عرّج على بيان ما عرضه الديوان من مديح نبوي أصيل من حيث الصورة الخلقية للرسول صلى الله عليه وسلم من صفات متعددة كالكرم، والرحمة، والتواضع، والرأفة، والحياء، والحلم، والعفو، والصفح، وعفة اللسان، واكتمال الصفات والأوصاف، إلى غير ذلك من صفات لا حصر لها، كما عرض أيضاً للصورة الخلقية لجانبه صلى الله عليه وسلم من وجهٍ، وشعرٍ، وتبسم، إلى غير ذلك من صفات خلقية، ثم الحديث عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم إبان مولده، ومعجزات بعد بعثته، إلى غير ذلك من معجزات في الديوان أبرزها هذا البحث، ثم الحديث عن التوسل والشفاعة، وفي نهاية البحث تم الحديث عن السمات الفنية لأسلوب الحميدي في الدر المنظم من حيث: مقدمة القصيدة، والمعجم الديني، والتكرار اللفظي الذي تم تقسيمه إلى: تكرار على مستوى البيت، وتكرار على مستوى القصيدة، وتكرار على مستوى الديوان، ثم استخدامه وإكثاره من المحسنات البديعية ولاسيما الجناس بأنواعه المختلفة، إلى أن وصل البحث إلى الخاتمة التي أبرزت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية : المديح النبوي، صورة النبي، الدر المنظم، الصفات الخلقية، الصفات الخلقية، المعجزات، الشفاعة، أسلوب الحميدي، التكرار اللفظي، المعجم الديني، الجناس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ورضي الله تعالى عن آله وصحبه، ومن سار على سنته واتبع نهجه إلى يوم الدين، وبعد،

فالمديح النبوي هو الشعر النابع من الوجدان، يتسم بالصدق والإخلاص يعمد فيه الشاعر إلى الثناء على سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- بذكر صفاته الخلقية والخلقية ومدحه بهما والتأكيد عليهما، والعروج على معجزاته التي لا تُعدُّ منذ ميلاده وحتى وفاته، تأكيداً على قدره -صلى الله عليه وسلم-،

ومكانته عند ربه، وذكر مدينته الطيبة والثناء عليها وعلى أصحابه وصفاتهم، ثم الوصول إلى الغرض الأساسي من المديح وهو نيل الشفاعة للنجاة يوم الحساب يوم الهول العظيم.

فهذا النوع من المديح ينبع عن إخلاص ووفاء، فهو منقذ هؤلاء الشعراء، ووسيلة للتقرب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنيل القبول والشفاعة للنجاة عند ربهم يوم يبعثون.

وتُعرِّف المدائح النبوية بأنها " فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"¹.

أهمية البحث:

- 1- تجلية صورة الرسول-صلى الله عليه وسلم- في هذا الديوان، وإبراز الغاية المقصودة من نظمه.
- 2- لفت الانتباه إلى ديوان لم يُحقَّق إلى الآن، وإبراز جهد صاحبه فيه.
- 3- الحكم على شعر لطبيب لم يكتب إلا في المديح النبوي.
- 4- عدم وجود دراسات سابقة تناولت الحديث عن صورة النبي في هذا الديوان.

المنهج المتبع:

المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لرصد صورة النبي-صلى الله عليه وسلم- ومعالمها المختلفة ومكوناتها، وتحليل ذلك.

خطة البحث:

مقدمة، وتمهيد يعرض التعريف بصاحب الديوان وديوانه، ثم محاور البحث والتي تتضمن:

- 1- الصورة الخلقية للرسول صلى الله عليه وسلم.
 - 2- الصورة الخلقية للرسول صلى الله عليه وسلم.
 - 3- معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي نوعان: معجزات إبان مولده - معجزات بعد بعثته.
 - 4- التوسل والشفاعة به صلى الله عليه وسلم.
 - 5- السمات الفنية لأسلوب الحميدي في الديوان:
- مقدمة القصيدة.
 - المعجم الديني.
 - التكرار اللفظي.
 - من المحسنات البديعية " الجناس".
 - 6- الخاتمة، وفيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.
 - 7- قائمة المصادر والمراجع.

¹ - المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط 1، 1935م، ص 17.

تمهيد: التعريف بصاحب الديوان وديوانه:

هو عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي المصري، زين الدين، أديب وشاعر، شيخ أهل الوراثة بمصر، توفي في السابع من المحرم سنة 1005 هـ ، وقد وصفه الشهاب الخفاجي وصفا رائعا بقوله: " كَانَ أديباً تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله ورقت على دوح أدبه خطباء بلابله إذا صدحت بلابل معانيه وتبرجت حدائق معاليه جلبن الهوى من حيث أدري وَلَا أدري نظم في جيد الدَّهر جمانه وَسَلَّم إلى يد الشرف عنانه خاطراً في رِداء مجد ذي حواش وبطانة ...، وديوان شعره شائع وذائع إلا أنني استودعته النسيان وَلَا بُد أن ترد الودائع ولما نظم البديعية مُعارضاً لابن حجة وشرحها نظرت فيها في أوان الصِّبَا فَرَأَيْت مِنْهَا مَوَاضِع لَا تَخْلُو من الخطأ فنبهته لذلك فَأَطَالَ لِسَانَهُ لانحرافه وزعم أنه هجاني بِنِعْضِ أَوْصَافِهِ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ متهكماً أما صورته "مولاي أسرفت في الامتتان وأسأت لنا قبل الإحسان وعاقبت من غير جنائية سابقة وحرمت من ليس له فيك آمال رائقة فكانت حالي معك كما قيل إنه هبت ريح شديدة فصاح النَّاسُ الْقِيَامَةَ الْقِيَامَةَ، فَقَالَ بعضُ الْمُجَانِ مَا هَذِهِ الْقِيَامَةُ على الرِّيقِ أَيْنَ الدَّجَالِ وَالْمُهْدِيِ وَأشراطها في ذلك أَقُولُ:

أسرفت في الصدِّ فخف خالفاً ... لا يرتضي إسراف مخلوق
يا هاجراً من لم يذق وصله ... جرعتهُ الصِّبْرَ على الرِّيقِ

ومن آثاره :

- البديعية وشرحها².
- ديوان الدر المنظم في مدح النبي الأعظم (خ)³.

أما عن الديوان (الدر المنظم في مدح النبي الأعظم)، فقد أراد الحميدي أن يقتدي بالشعراء المادحين للرسول ، فبدأ بقصائد متفرقة في مدحه ، ثم شرع في نظم هذا الديوان إثر بشارة طيبة أخبرنا عنها، ولكن السؤال هنا : هل هو " الدر المنظم في مدح النبي الأعظم " أم " الدر المنظم في مدح الحبيب الأعظم ؟ فالحميدي أراد أن يسير مع قوافل المادحين للنبي الكريم ، يوم القيامة، وأن يكون تحت لوائه يوم الحساب تشفعا لجنابه وتوسلا بمقامه، وشفاء لعلته من مكائد الدنيا وهمومها، فنظم قصائد في مدح النبي المختار، أما عن سبب نظم هذا الديوان فكانت البداية تلك البشارة في منامه التي تروي رؤيته للنبي الكريم ، وحوله جماعة من أصحابه، ثم قرأ عليه الحميدي أول همزيته التي يقول فيها :

تربة تربها على التبر يسمو وضياها يفوق ضوء ذكاء

وعندما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يذهب تبعه الحميدي وأعطاه الهمزية التي كان يحملها بين يديه، وقال له : أجزني بها يا رسول الله، كالمثدلل عليه، فقال الرسول : أجزتك بها، فاستبشر وفرح فرحا شديداً، وأخذ ينادي في المدينة " ما أبركها من ليلة !

1 - لترجمة الحميدي انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ)، دار صادر - بيروت، دت، 2 / 376 ، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، لشهاب الدين الخفاجي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دت، 2 / 114:116 ، ومعجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، 5 / 120.

2 - مخطوط سمي بـ (تمليح البديع بمدح الشفيع، وشرحه المسمى بمنح السميع) هناك نسخ منه في مكتبات أوروبا ، ينظر: الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين،بيروت-لبنان،7ط، 1986 م، 3 / 296، 297، مصر العثمانية، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012 م ، ص 90، معجم المؤلفين 5 / 120.

3 - طبع بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر، 1323 هـ / 1904 م. ينظر المصادر السابقة.

وبعد هذه الليلة نظم قصيدة تائية أخرى، وقبل إتمامها رآه والده واقفا بقرب النبي في المنام كموقف المأموم من الإمام، وكان الرسول مقبلا عليه كل الإقبال، وعندئذ أن أوان الشروع في نظم الديوان، وترتيبه على حروف المعجم، وقد سمّاه بـ " الدر المنظم في مدح الحبيب الأعظم " وقد ذكر هذا الاسم في مقدمة الديوان، وبدأ بالقصيدة الهمزية التي نال بها الإجازة من الرسول في المنام، وسمّاه بـ " النفحة العطرية في مدح أشرف البرية " فكانت النفحة التي عطرت ديوانه، وكانت الدرّة التي أضاءت هذا الديوان، وكشفت الظلام، وفتحت الطريق لغيرها من الدرر التي جاءت على إثرها، ويبدو أن ناشر الديوان وطابعه هو الذي وضع عليه هذا الاسم " الدر المنظم في مدح النبي الأعظم " فعرف به.

الصورة الخلقية للرسول صلى الله عليه وسلم:

إن النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى، وقد أثنى عليه ربُّه جلَّ وعلا في كتابه العزيز فقال: " وإنك لعلی خلق عظیم "1،

وليس بعد ثناء الله عليه ثناء، فقد جمع -صلى الله عليه وسلم- مكارم الأخلاق، فكان أحسن البشر خلقا وأكرمهم وأصدقهم، وقد تبارى الشعراء في مدحه بصفاته الكريمة، وأخلاقه الحميدة، وشيمه الصادقة.

وقد عرّف الإمام الغزالي الخُلق فقال: " هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"2،

فالرسول -صلى الله عليه وسلم- كان حامدا لربه شاكرا له صابرا، صادقا لم ينطق باللغو أو الفحشاء، وهو أكثر الناس خوفا من الله عز وجل- في جهره وسره، وهذا ما مدحه به الحميدي في ديوانه.

انفراد النبي يوم القيامة دون غيره من الأنبياء، يقول الحميدي 3:

أحمد الحامدين محمود فعل خُصَّ بالحوضِ واللوا والولاءِ

فالحميدي جمع في هذا البيت ما انفرد به النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- دون غيره من الأنبياء يوم القيامة، فقد كان أحمد خلق الله؛ ولهذا انفرد بحمل لواء الحمد يوم القيامة، ووهب مقاما محمودا، وقد افتخر بذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- بحمله لواء الحمد يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»"4 وهو صاحب المقام المحمود، حيث قال الحق سبحانه وتعالى: " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا "5.

1 - سورة القلم، آية 4.

2 - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د ت، 3 / 53

3 - الديوان، ص 6.

4 - صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1991م، 782/4، رقم 2278، و، سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د ت، 2 / 1440هـ.

5 - سورة الإسراء، آية 79.

وجاء في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: " اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِلَّا حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "1.

والمقام المحمود الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم هو الشفاعة، حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا ، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود "2.

ومما جاء عن أبي داود بسنده عن أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " ثُمَّ يَأْذُنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَقُومُ رُوحُ الْقُدُسِ جَبْرِيْلُ ثُمَّ يَقُومُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُومُ عِيسَى أَوْ مُوسَى - قَالَ أَبُو الزَّعْرَاءِ -: لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا قَالَ: " ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكُمْ -صلى الله عليه وسلم- رَابِعًا فَيَشْفَعُ لَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ فِي أَكْثَرِ مِمَّا يَشْفَعُ وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } 3 " 4

وإذا كان النبي قد انفرد بحمل لواء الحمد والمقام المحمود يوم القيامة؛ لأنه أكثر الحامدين لربه جل وعلا، فإنه قد انفرد أيضا بحوض لم يكن لغيره من الأنبياء، فقد جاء عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»5.

وقد وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- حوضه واقتخر بذلك - وقد ورد ذلك عنه حيث أخبرنا ابن وهب، عن يونس بن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "قَدَّرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نَجْمِ السَّمَاءِ"6.

ومدح الحميدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بانفراده بالولاء، وهذا من ثناء الله عليه وكرمه؛ لأن الله تعالى قد قرن طاعته بطاعة نبيه في القرآن الكريم، والإيمان به بالإيمان بنبيه، حيث قال الحق جلَّ وعلا: " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " 7، وقوله تعالى: " فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا " 8، وكما قرن الله تعالى الإيمان به بالإيمان بنبيه، أيضا قرن طاعته بطاعة

1 - صحيح البخاري / للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير/ دمشق- بيروت 2002م، ص156، رقم 614، ومسنند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م، 120/23.

2 - صحيح البخاري، 1171/4، رقم 4718 .

3 - سورة الإسراء 79 .

4 - مسند أبي داود، لأبي داود الطيالسي البصري، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط 1، 1419 هـ - 1999 م.

5 - صحيح البخاري، ص324، رقم 1344.

6 - مسلم، 4/1800، رقم 39، والحديث موجود بصيغة أخرى في موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 646 .

7 - سورة الفتح الآيتان 8 ، 9 .

8 - سورة التغابن 8.

نبيه، يقول جلّ وعلا : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " ¹، وقال : " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ²، وقوله : " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " ³
 وقد أكد ذلك الرسول ، فعن أبي هريرة أنه سمع الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول : " «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي» ⁴، فكان مدح الحميدي للنبي -صلى الله عليه وسلم- شاملا في هذا البيت لما انفرد به النبي يوم القيامة وفي الدنيا.

كرم النبي

يقول الحميدي ⁵:

يا أكرم الكرماء يا من جوده كل البحار لديه كالقطرات

ويقول أيضا ⁶:

كريم حوى كل المكارم سيد لسؤدده يعزو الحديث المحادث

ويقول ⁷ :

معدن الخير والمكارم والجو د مفيد الوفود أوفى مراد

وقوله ⁸:

محمد أشرف البرايا من جوده للوفود وفر

وقوله ⁹:

هو الأكرم ابن الأكرمين هو الذي مكارمه تروي البحار إذ تروى

وقوله ¹⁰:

يا أكرم الكرماء يا من فضله عادت لنا منه به عادات

وقوله ¹¹:

لم يقل لا لسائل بل جواد منعم في الأقتار والإثراء

فعندما مدح الحميدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بصفة الكرم، استخدم لفظين وهما الجود تارة والكرم تارة أخرى ، والمعنيان متقاربان، وإن كان الكرم هو " الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطرُهُ وَنَفْعُهُ، وَسَمَوَةٌ أَيْضًا جُرْأَةً، وَهُوَ ضِدُّ النَّدَالَةِ " ¹²، أما الجود فهو سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب ما لا

1 - سورة الأنفال آية 20.

2 - سورة آل عمران 132.

3 - سورة النساء، 80.

4 - صحيح البخاري، ص 729، رقم 2957.

5 - الديوان، ص 29.

6 - السابق، ص 34.

7 - السابق، ص 52.

8 - الديوان، ص 62.

9 - السابق، ص 141.

10 - السابق، ص 31.

11 - السابق، ص 13.

12 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض، تحقيق وتخريج عبده علي كوشك ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، ط 1 ، 2013م، ص 154

يُحمد، وهو السخاء أيضا¹، والأدلة على ذلك كثيرة، فعن جابر بن عبد الله أنه قال : ما سئل النبي عن شيء قط فقال لا²

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»³

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان جوادا كريما لا يخشى الفاقة من إنفاقه، كان ينفق المال لله وبالله، وفي معظم الأحيان يُكرم وينفق وقد يمضي عليه الشهر أو أكثر لا يوقد في بيته نار، وهذه الصفة هي جزء من كل من صفات النبي.

الرحمة والرأفة والحياء والتواضع :

يقول الحميدي⁴:

أطاع بالأتقياء برُّ	رحيمٌ قلب بمؤمن قد	وقوله ⁵ :
بالبشر والتيسير والرحمات	يا أرحم الرحماء يا من جاءنا	وقوله ⁶ :
جواد على كل الأنعام له جدوى جميع جهات الحُسن في ذاته تحوى	رحيم به عمّ البرية رحمة رعوفٌ عطوفٌ ذو حياءٍ وعفة	وقوله ⁷ :
لدى السلمٍ شهيمٌ في الحروب مغالته	رعوفٌ رحيمٌ محسنٌ متواضعٌ	وقوله في التواضع ⁸ :
إن جاءهم قاصدا وعن إطراء	ونهى الصحب عن قيام له	وقوله ⁹ :

حجة الخلق رحمة عمت الخلق ملاذ الأنعام يوم المعاد
فقد من الله تعالى على نبيه محمد باسمين من أسمائه، وأثنى عليه بهما، وهما (الرعوف والرحيم)،
حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"¹⁰، ويقول عز وجل : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "¹¹

1 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 15.

2 - البخاري، ص 1512، رقم 6034.

3 - السابق، ص 876، رقم 3554.

4 - الديوان، ص 62.

5 - الديوان، ص 29.

6 - السابق، ص 141.

7 - السابق، ص 34، مغالته أي ملازم، انظر: لسان العرب 6 / 654.

8 - السابق، ص 13.

9 - السابق، ص 52.

10 - التوبة، 128.

11 - الأنبياء، 107.

فالرسول كانت حياته رحمة ومماته رحمة، ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتَ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْتَ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»¹

وقال الرسول الكريم : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبِضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهَا"²

وحياة الرسول الكريم كلها رحمة للمؤمن والمنافق والكافر، " فكانت رحمة للمؤمن بالهداية، وللمنافق بالأمان من القتل، وللکافر بتأخير العذاب"³

ورحمته يوم القيامة لأُمَّته بشفاعته لهم عند ربه وتوسله إليه.

ومما يدل على رحمته وتعليمه هذه الصفة لغيره من المسلمين ما جاء عن أبي هريرة، أَنَّ الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»⁴

وقد جمع الحميدي في مدحه بين الرحمة والرفقة وبين الحياء والعفة؛ لأن الرحيم العطوف هو العفيف، فكان الرسول الكريم أشد حياء من العذراء، وهذا من حسن أدبه وأخلاقه، فعن أبي سعيد الخدري قال كَانَ النَّبِيُّ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعُذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» وقال شُعْبَةُ : " وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ"⁵

وأیضا جمع الحميدي بين صفتي الرحمة والرفقة وبين التواضع والإحسان، وقد وُفِّقَ في جمع هذه الصفات واقترانها ببعضها؛ لأن من يتصف بالرحمة والحياء يجب أن يكون متواضعا محسنا ، وهذه هي صفات سيد الخلق أجمعين، والأدلة على تواضعه كثيرة من السنة النبوية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: مَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ، يَخْصِفُ النَّعْلَ، وَيَرْقَعُ النَّوْبَ، وَيَخِيطُ"⁶

وأیضا ما يدل على تواضعه -صلى الله عليه وسلم- كراهيته قيام القوم له إذا حضر، روى حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال : مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَاً مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ"⁷

وعن ابن عباس قال : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ»⁸.

1 - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ط 2 ، 1973م ، 3 / 401،مرسلا عن ابن عباس.

2 - صحيح مسلم، 4 / 1792، رقم 2288، ومعنى فَرَطًا وَسَلْفًا أي متقدم أُمَّته، انظر لسان العرب 7 / 73.

3 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، 58.

4 - صحيح مسلم ، 4 / 1801 ، 1809 ، رقم 2318.

5 - صحيح البخاري ، ص 877 ، رقم 3562.

6 - الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط 3، 1409 - 1989، ص 190، ومعنى يَخْصِفُ النَّعْلَ يصلحها، انظر لسان العرب 3 / 112.

7 - السابق ، ص 326.

8 - المعجم الكبير ، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط 2، د ت، 67 / 12، وشعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، والدار السلفية بيومباي بالهند، ط 1، 1423 هـ - 2003 م، 11 / 485.

الحلم والعفو والصفح :

يقول الحميدي¹:

غزيرُ علمٍ عظيمٍ حلمٍ من شأنِهِ للمُسيءِ عَفْرٌ
فكم عفا عن كبير جُرمٍ وهو لكسرِ الضعيفِ جَبْرٌ

ويقول² :

يا أحلمِ الحلماءِ، يا من حلمه وَسِعَ المِسيءِ المِكتَرِ الزِلاتِ
أنتَ الذي عاملتِ بالحلمِ التي سَامَتْكَ سُمًّا في ذِراعِ الشاةِ
أنتَ الذي بالصفحِ قد قابلتَ مَنْ جَذَبَ الرِداءَ بأعظَمِ الجَذباتِ

فالرسول كان من أحلم الناس وأصبرهم وأكظمهم للغيط، وهذا ما جاء على لسان الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ"³ فالنبي الكريم يعفو عن أساء إليه ويغفر له، فكان لا يغضب إلا لأمر الله سبحانه وتعالى فقط، فهو جابر ل خاطر الضعيف .

فعن أنس بن مالك أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ» ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ⁴ فهذا يدل على حلم النبي ، وفي الوقت نفسه يدل على حكمته وعفوه عن هذا الرجل الذي ارتكب جرما كبيرا في حق بيت الله عز وجل، ففي هذا الحين رأي النبي هذا الرجل الضعيف مكسورا أمام القوم فأراد بحلمه -صلى الله عليه وسلم- جبر كسره والعفو عنه.

ولم ينتقم النبي -صلى الله عليه وسلم- لنفسه أبدا، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها، وهذا ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُبِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أُمَّرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»⁵

وليس أدل على عفوه وصفحه من قصة الأعرابي الذي جذب البرد جبذة شديدة، حتى نظر إليه رسول الله ، فضحك وأمر له بالعطاء، فعن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فإذا أعرابي فجذبته جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحتي عنق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أثر حاشية الثوب من شدة جذبته، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَرَّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ⁶ وقد بلغ من حلمه وعفوه -صلى الله عليه وسلم- أنه عفا عن المرأة التي أهدته الشاة مسمومة في غزوة خيبر⁷

عفة اللسان :

النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يلفظ لغوا أو سبًا أو فحشاء،

1 - الديوان ، ص 62.
2 - السابق ، ص 29.
3 - سورة آل عمران 159.
4 - صحيح مسلم ، 1/236 ، رقم 284 ، لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه بوله، لسان العرب 4 / 362.
5 - صحيح البخاري، ص 877، رقم 3560.
6 - موطأ الإمام مالك : لمالك بن أنس بن مالك المدني، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412 هـ، 2 / 184 ، والبرد ثوب به خطوط، لسان العرب 1 / 378.
7 - انظر الحديث في صحيح البخاري ، ص 1461 ، رقم 5777.

يقول الحميدي¹:

رسولٌ حقٌّ فصيحٌ نطقٍ منطقه جوهراً ودرُّ

ويقول²:

ليس بالفظِّ والغليظ ولا السَّخَابِ والمرتدي رداء الكبرياءِ

فرسول الله لا ينطق عن الهوى، ولا ينطق اللغو، فمنطقه هو الجواهر النادر والدرر الفريدة ولا عجب في ذلك، وقد أكد الله تعالى ذلك في كتابه العزيز حين قال: " وَأَلُو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ"³

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجِحًا وَلَا مُنْفَحِحًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»"⁴

اكتمال الصفات والأوصاف :

فالله - سبحانه وتعالى - قد وهب نبيه المحاسن جميعها، الحُسن في الصورة والهيئة، والأخلاق الكريمة، وقربه منه جلَّ وعلا، وأعلى من قدره، وجعله أكمل الخلق وأشرفهم " فأعلى منزلته وشرف رتبته وقربه إليه زلفى، ومنحه من رضاه النصيب الأوفى"⁵.
وقد مدحه الحميدي بذلك، فقال⁶:

أفصح العالمين رأياً ونصحا أكمل الكاملين ذاتاً ووصفا
لهو من سحاب جدواه سخا أفضل الفاضلين إذ كل فضلٍ

وقوله⁷:

أحسن العالمين خُلُقًا وخُلُقًا أفضل الناس حضرهم والبادي

وقوله⁸:

خيرهم خلقاً وأرضى خلقاً وأسدُّ الناس رأياً ونبا

والمعنى نفسه يقول⁹:

هو أنقى العباد أنقى البرايا أصدق الخلق لهجة ومقالا
أحسن العالمين خُلُقًا وخُلُقًا وأسدُّ الأنعام رأياً وقالا

وقوله¹⁰:

كلُّ صفات الكمال فيه ومنه تسري لمن تَسُرُّ
فالنبي قد وهب الكمال خلقاً وخلقاً، وقد أكد على ذلك الحق جل وعلا حين قال: " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ"¹¹

1 - الديوان، ص 62.

2 - السابق، ص 13.

3 - آل عمران من الآية 159.

4 - صحيح البخاري، ص 877، رقم 3559.

5 - العمدة في شرح البردة، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2012م، ص 115.

6 - الديوان، ص 43.

7 - السابق، ص 52.

8 - السابق نفسه، ص 24.

9 - الديوان، ص 144.

10 - السابق، ص 62.

11 - القلم، آية 4.

ومما يؤكد أن النبي أحسن الناس خلقا وأشرفهم وأكملهم، ما جاء عن أنس بن مالك، قال : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»¹

كما أخبرنا أنس أيضا عن قصة له مع النبي ، فقال : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمَّ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَتَنَزَّرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»²

فهذا أمر من الله بأن يجتمع الكمال خلقا وخلقاً، حيث اصطفاه من عباده ، وقربه إليه، وجعله نبيه وحببيه .

خاتم النبيين :

يقول الحميدي³:

صفوة الخلق ختام الأنبيا أظهر الخلق وأزكى نسبا

إن محمدا -صلى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء وصفوة الأصفياء وهذا ما أكد عليه الحق سبحانه وتعالى حين قال : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"⁴

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ، قال : " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبُدُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَاءُ وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ. "⁵

خلقه القرآن :

يقول الحميدي⁶:

خُلِقَهُ الْقُرْآنُ يَرْضِي إِنْ رَضِيَ وَإِنْ كَانَ غَضُوبًا أَغْضَبَا

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان خلقه القرآن بنص صريح جاء عن عائشة رضي الله عنها⁷، فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} "⁸.

والنبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- كان دائما راضيا مبتسما، لا يغضب إلا لحرمة الله عز وجل، وقد أخبرنا علي بن أبي طالب أن النبي كان إذا رأى ما يحب قال : " الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"⁹.

وعن كعب بن مالك قال : " وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ "¹⁰

1 - صحيح مسلم، 4 / 1805، رقم 2310.

2 - السابق نفسه.

3 - الديوان، ص 24.

4 - الأحزاب، آية 40.

5 - صحيح البخاري، ص 873، رقم 3535.

6 - الديوان، ص 25.

7 - مسند أحمد، 41 / 148، رقم 24601.

8 - سورة القلم، 4.

9 - سنن ابن ماجه، 2 / 1250.

وإذا غضب -صلى الله عليه وسلم - فإنه يغضب لأمر الله عزَّ وجل، فعن أبي مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ، مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلَيَتَجَوَّزُ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»²

الصورة الخلقية

إن النبي قد نال الجمال كله، ليس في الخلق سواء نال هذا الشرف، والخلق هو " صورة الإنسان الظاهرة كالبياض والطول والشعر " ³ يقول الحميدي ⁴ :

كُلُّ حَسَنٍ مِنْ حُسْنِهِ مُسْتَمَدٌّ ما سواه في الخلق نال الجمالا

وقوله ⁵:

قمر الشمس نوره فإذا لم تر عين ظلالة في الضحاء
حاز كلَّ الجمال معنى ومبنى وحوى أكمل النهى والبهاء

فوجه النبي كان مُشرفًا مبتسما إذا رأيتَه حسبت الشمس طالعة، فقد اكتمل جماله معنى ومبنى، بل كانوا يشبهون الحسن به.

وعن أبي إسحاق، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ »⁶.

وجه النبي :

فالرسول -صلى الله عليه وسلم - كان وجهه مضيئاً مستديراً كالقمر، وكانت تعلوه حمرة، وهو أشرف الألوان، فهو ليس بالأسود ولا الأبيض الشديد البياض، وإنما بياض جميل تخالطه حمرة، يقول الحميدي ⁷:

أبلج ظاهر الوضاعة يخفي نوره النيرين حال انجلاء
وجهه المستدير أشرب بالحم رة منه البياض بادئ البهاء

فَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سِئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ⁸.

وكان النبي مبتسما دائما مسرورا لم يره أحد إلا وراه كذلك، " وكان إذا افتقر ضاحكا افتقر عن مثل سنا البرق، وعن مثل حبِّ الغمام، وإذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه".

¹ - صحيح البخاري، ص 876 ، رقم 3556.

² - السابق، ص 175 ، رقم 704.

³ - الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام الترمذي، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط 1، 1993م، ص 7.

⁴ - الديوان، ص 144.

⁵ - السابق، ص 12.

⁶ صحيح البخاري، ص 875، رقم 3547.

⁷ - الديوان، ص 11.

⁸ - صحيح البخاري، ص 876، رقم 3552.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال: " ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ " وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأَلُ فِي الْجُدْرِ " 1
وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ : وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَانَ وَجْهُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السِّيفِ. فَقَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا " 2.

شعرُ النبي:

يقول الحميدي 3:

رَجُلُ الشَّعْرِ لَيْسَ بِالْقَطِطِ الْجَعْدِ وَلَا الْمُسْتَدِيمِ الْإِسْتِرْخَاءِ

فشعر النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن شديد الجعودة كشعر السودان، ولا شديد السبوبة (مسترسلا) كشعر الروم، بل كان كأنه ممشط متكسر قليلا، يصل شعره إلى نصف أذنيه، وأحيانا إلى شحمة أذنيه، وأحيانا بين الأذن والعاتق وأحيانا إلى منكبيه، فعن قتادة قال: سَأَلْتُ أَنَسًا، عَنِ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ شَعْرُهُ رَجُلًا لَيْسَ بِالْجَعْدِ، وَلَا بِالسَّبِطِ، كَانَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ " 4.
وعن قتادة أيضا قال حدثنا أنس " أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَضْرِبُ شَعْرُهُ مَنْكَبَيْهِ " 5.

تبسم النبي:

يقول الحميدي 6:

ذُو ابْتِسَامٍ وَمَبْسَمٍ عَذِبٍ أَشْنَبٌ 7 يَمْحُو الْعِنَاءَ عِنْدَ الْفَقَاءِ

فالنبي كان مبتسما دائما، لم يره أحد إلا هكذا وجهه منور كالبدر لم يعبس في وجه أحد أبدا، فكان ضحكه التبسم، وفي ذلك روي عبد الله بن عبد الحارث رضي الله عنه قال : " ما كان ضحكُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا تَبَسُّمًا " 8.
فالرسول كان أكثر الناس همًا ولكنه كان مبتسما دائما ضاحكا، لا تفارق الابتسامة وجهه العذب، وهذه الابتسامة تمحو عناء من يلقاه.

وقد أجمل الحميدي أوصاف النبي ، فقال 9 :

حَاجِبَاهُ كَنُونِي الْخَطِ زَيْنًا بَجْبِينِ رَحْبٍ بِهِيَ الضِّيَاءِ
فِيهِ عَرَقٌ يَدْرُ 10 إِنْ هُوَ اللَّهُ يَرَى سَاخِطًا عَلَى الْأَعْدَاءِ
أَدْعَجُ الْعَيْنَ أَشْكَلَ أَوْطَفَ لَمْ يَرِ فِي الْحَسَنِ مِنْ يَدَانِيهِ رَائِي
أَنْفُهُ بِالْجَمَالِ أَقْنَى يَرَى النَّأ ظَرُّ عَرْنِينِهِ 11 السَّنَا بِالسَّنَاءِ
عَارِضَاهُ زَيْنًا بِأَطْهَرِ نَبْتِ فَاقَ مَسْكَ فِي لَوْنِهِ وَالذِّكَاءِ

1 - مسند أحمد ، 2 / 350 ، والشمال 115

2 - صحيح مسلم ، 4 / 1823 ، رقم 2344.

3 - الديوان ، ص 11.

4 - صحيح مسلم، 4/1819، رقم 2338.

5 - صحيح البخاري ، ص 161 ، رقم 5903.

6 - الديوان ، ص 11.

7 - الأشنب : هو الذي في أسنانه رقة تجري على الثغور وتحدّد، ينظر : غريب الحديث ، لابن الجوزي، تعليق: د. عبد المعطي

أيمن قلجعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م، 1/562 ، و المعجم الكبير للطبراني، 22 / 160

8 - الشمال للمحمدية ، ص 96.

9 - انظر الديوان ، ص 11 ، 12 .

10 - بدر : يكثر ويسيل ، ينظر : لسان العرب ، لابن منظور، دار الحديث، القاهرة، 2003م، 3/331 ، والمعنى هنا الامتلاء

والظهور.

11 - ألقى العرنين: القنا هي حديدات في الأنف، والعرنين الأنف كله ، ورجل ألقى العرنين أي في وسطه إشراف، ينظر :

غريب الحديث ، 2/90.

بهما قد تالأت شعرات	بسناها قد لاح أسنى المرائي
جيدُه الجيّدُ النقي كمصقو	ل لجين حكاه جيد الظباء
بطنه في الجمال والصدر سيا	ن فعن سجلة ¹ خلا والتواء
أشعر المنكبين ضخم الكرادبي	س ² طويل الزندين بحر العطاء
واسع الراحيتين كم راحة را	حت لنا من نداهما وغناء
طابتا ملمسًا ولينًا كما بالظ	ول قد طالستا وبالأسداء ³
ساقه السائق العلى فاق حسنا	وبهاء جمارتي شماء ⁴
قدماه مسيحتان ⁵ ومن وط	نهما لان جلمد الصفواء
ليس بالشاهق الطوال وإن ما	شى طوالا كانا بطولٍ سواء

فهذه الأوصاف الخفية التي مدح الحميدي بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلها مثبتة، فعن ابن الأبي هالة التميمي، عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافًا، عن جنية النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمًا فخمًا يتلألأ وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفردت عقيبته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفرّة أزهر اللون، واسع الحبين، أزج الحواجب سواغ في غير قرن، بينهما عرق يدره غضب، أفتى العرينين، له نور يعلوه يحسبه من يتأمله أسم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دميث في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك سواء البطن والصدر، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر، يجري كالخط، عاري التدين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة سبط القصب، شئن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا، أربع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صلب، وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه، يندر من لقي بالسلام»⁶.

فالنبي كان حاجباه فيهما تقوس مع طول في أطرافهما وهو السبوغ فيها⁷، وكان بينهما فرجة في غير قرن، وبينهما عرق إذا غضب يظهر ويمتلئ ويتحول كأنه دم، وهناك دقة في الأنف مع ارتفاع في قصبته فهو أفتى العرينين، وأسم، وفي لحيته -صلى الله عليه وسلم- كثافة من عظم ولا طول، ضليع الفم،

- 1 - معنى سجلة أي طويل متدل، لسان العرب 4 / 502.
- 2 - الكراديس: البعض يقول العظام، والآخر يرى رءوس العظام، والمعنى أنه عظيم الألواح، ضخم الأعضاء، ينظر: غريب الحديث، 285/2، و المعجم الكبير للطبراني 22 / 160
- 3 - وبالأسداء: أي اتساع السير والخطو، لسان العرب 4 / 541.
- 4 - فهو واسع الخطا، مقبل على ما بين يديه غاض بصره لا يرفعه إلى السماء، خافض الطرف نظره إلى الأرض، أكثر من نظره إلى السماء، ومعنى جمارة: شحم النخل الذي قمة في رأسه، لسان العرب 2/197، شماء: عالية، لسان العرب 5/199.
- 5 - مسيحتان: ملساوان لبيتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق إذا أصابهما الماء، ينظر: غريب الحديث، 2/357، ومعنى الجلمد: الصخرة، لسان العرب 2/186، والصفواء: الملساء 5/361.
- 6 - المعجم الكبير، 156 / 155/22، المشذب: الطويل البائن الطول، انظر غريب الحديث 1/523، عقيبته: العقص هو أن يلوى الشعر على الرأس، غريب الحديث 2/116، دقيق المسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة، غريب الحديث 1/473، شئن الكفين: غليظتان، غريب الحديث 1/518، خمصان الأخمصين: الأخمص هو الموضع من القدم الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطاء، والمعنى أن أخمصه معتدل، لسان العرب 3/222.
- 7 - السبوغ فيها أي كاملة طويلة، لسان العرب 4 / 481.

في أسنانه رقة وفيها تفرق، وشعره الذي بين اللبّة إلى السُرّة شعر يجري كالخط، قدماه ملساوان ليس في ظهورهما تكسّر، وكان واسع الخطأ كأنما ينحط في صَبَبٍ، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء¹.

معجزات النبي :

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، وسميت بذلك لعجز البشر عن الإتيان بها إلا إذا قدر الله ذلك، وقد فعل الله جل وعلا ذلك مع أنبيائه تأكيداً على صدق رسالتهم وصحة نبوتهم، ومعجزات النبي الكريم يمكن تقسيمها إلى ضربين : " ضَرْبٌ هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ فَعَجَزُوا عَنْهُ فَتَعَجَّزُوا عَنْهُ فَعَلَّ اللَّهُ دَلَّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِ كَصَرَفِهِمْ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ وَتَعَجَّزِهِمْ عَنِ الْإِثْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِمْ وَنَحْوِهِ وَضَرْبٌ هُوَ خَارِجٌ عَنِ قُدْرَتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْإِثْيَانِ بِمِثْلِهِ كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَإِخْرَاجِ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ وَكَلَامِ شَجَرَةٍ وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنَ الْأَصَابِعِ وَأَنْشِقَاقِ الْقَمَرِ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحَدِيثِهِ مِنْ يُكذِّبُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعَجَّزٌ لَهُ"²

- معجزات إبان مولده :

يقول الحميدي³ :

وبميلاده بدت معجزات	فراى المشركون هول المرائي
أطفئت نارهم ليعلم أن قد	جاء من كفرهم به في انطفاء
أي نار ترى وبالنور لاحت	دور بصرى لمن بمكة رائى
وبكسر الإيوان قد أن جبر	وإنكار للدين والأعداء
وأكبت أوثانهم وأحسوا	بمبادي الوبال والأوباء

فهذه المعجزات التي مدحه بها الحميدي هي معجزات حدثت إبان مولده صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك إشارة من المولى عز وجل بجلاء الظلام والكفر وعبادة النار والأصنام وميلاد نور جديد يدعو إلى التوحيد وعبادة الرحمن سبحانه وتعالى، وقد أكد ذلك المولى عز وجل في كتابه العزيز حين قال : "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"⁴

وقد رُوِيَ عَنْ عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ أَمِّ عُمَانَ النَّقِيبَةِ، وَاسْمُهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ: «حَضَرَتْ وَلَادَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَأَيْتِ النَّبِيَّ حِينَ وُضِعَ قَدْ امْتَلَأَ نُورًا، وَرَأَيْتِ النَّجْمَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقُّ عَلَيَّ»⁵.

وقد ذكر البيهقي هذه المعجزات متتالية في كتابه، حيث قال : "ومن دلائل نبوته: ما حدث بين أيام مولده ومبعثه - صلى الله عليه وسلم - من الأمور الغريبة والأكوان العجيبة القادرة في سلطان أئمة الكفر والموهية لكلمتهم، المؤيدة لشأن العرب، المنوّهة بذكرهم كأمر الفيل وما أحلّ الله بحزبه من العقوبة والنكال، ومنها: خمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرى، وغيض ماء بحيرة ساوة ... ومنها: ما سمعوه من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه والرموز المتضمنة لبيان شأنه، وما وجد من الكهنة والجن

1 - ينظر المعجم الكبير 22 / 161، 162، وشرح السنة للبخاري، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م، 13 / 267.

2 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 313 .

3 - الديوان، ص 7.

4 - سورة المائدة 15، 16.

5 - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412 هـ، 2 / 149.

في تصديقه، وإشارتهم على أوليائهم من الإنس بالإيمان به. ومنها: انتكاس الأصنام المعبودة، وخورها لوجوهها من غير دافع لها عن أمكنتها¹ وكل هذه المعجزات إبان مولد الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم آية من الله - سبحانه وتعالى - لنبيه باقية على وجه الأرض.²

- معجزات بعد بعثته :

شفاء المريض :

يقول الحميدي³ :

يمناه فيها اليمن واليسرى بها اليسرى لكل مؤمل ولاج فالرسول قادر ببركته وبفضل الله جل وعلا على إبراء المريض، ورفع الكرب، وكشف الغم، وهذه معجزة أيده الله تعالى بها.

عن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أنرَ ضربة في ساق سلمة، فقلت يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم «فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكئها حتى الساعة»⁴.

الدعاء والإجابة في الحين :

يقول الحميدي⁵ :

ودعاه عام المحل أنحل جده فأنهل ماء المزن كالأمواج فالرسول كانوا يلجئون إليه كثيرا ليدعو لهم، لأنه مستجاب الدعاء في حينه، ف جاء إليه بعض أصحابه يشكون إليه احتباس المطر وجذب الأرض وهلاك الماشية، فما يكاد يرفع يديه إلى السماء حتى تتجمع السحب وينزل الغيث، ويؤمن الجميع بقول الله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ"⁶

فعن أنس، قال : " كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَصَاحُوا، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَحَطَتِ الْمَطْرُ، وَهَلَكَتِ الْبِهَائِمُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِينَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ: وَإِيمُ اللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً مِنْ سَحَابٍ قَالَ: فَأَنْشَأَتْ سَحَابَةٌ فَانْتَشَرَتْ، ثُمَّ إِنَّهَا أَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى، وَأَنْصَرَفَ النَّاسُ فَلَمْ تَزَلْ تَمْطُرُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَحْبِسَهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَتَفَشَّعَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا وَمَا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةً، فَظَنَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ"⁷.

1 - دلائل النبوة ، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405 هـ، 1 / 18 ، 19.
2 - حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، للشيخ يوسف النبهاني، ضبط وتصحيح ومراجعة عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م، ص 173، 174.
3 - الديوان ، ص 37.
4 - صحيح البخاري، ص 1033، رقم 4206.
5 - الديوان : ص 37.
6 - سورة الشورى آية 28 .
7 - سنن النسائي : لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1406 - 1986، 3 / 160.

حضور الملائكة غزوة بدر :

يقول الحميدي¹ :

من يوم بدر له الأملاك لم يذروا غمرا عنيدا وجبارا وملاذا²

فهذا إشارة إلى معجزة عظيمة حدثت بغزوة بدر، وهي مساندة الملائكة للمسلمين في أسر الأعداء، فعن علي رضي الله عنه، قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بَرَجْلٍ أَسِيرٍ فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا أَسْرَنِي، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرَنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اسْكُتْ؛ لَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ»³.

نطق ذراع الشاة وإخبارها الرسول بأن الشاة مسمومة :

يقول الحميدي⁴ :

والشاة أنبأها منه الذراع بما قد دُسَّ فيه وقد زادوه أحنادا⁵

إشارة إلى معجزة نطق ذراع الشاة وإخبار نبي الله -صلى الله عليه وسلم- بأن الشاة مسمومة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا

سُمٌّ⁶.

وجاء في السيرة النبوية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا اطْمَأَنَّ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرٍ أُهْدِيَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةٌ سَلَامٌ بَيْنَ مَشْكَمٍ، شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ [2] ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيَّ غُضُوٍّ مِنَ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذَّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ، فَلَاكٌ مِنْهَا مُضَعَّةٌ، فَلَمْ يُسْغَهَا، وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا بَشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفْظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ، ثُمَّ دَعَا بِهَا، فَأَعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَّغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبِرُ، قَالَ: فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ بَشْرٌ مِنْ أَكْلِهِ الَّتِي أَكَلَ⁷.

نطق الظبية وشكواها إلى الرسول:

يقول الحميدي⁸ :

وكالتكالي شكته ظبية حجبت عن خشفها⁹ فحباها منه إنقادا

إشارة إلى حديث الظبية إلى النبي ، وشكوتها بأنها مربوطة وبعيدة عن أولادها وهم بحاجة إليها لأرضاعها، فأطلقها النبي بعدما أخذ منها وعدا بالعودة مرة أخرى، فوفت بوعدها وعادت، وطلب النبي من أصحابها أن يشتريها فوهبوا له فأطلقها.

1 - الديوان ص 54.

2 - الغمر: الفرس كثير العدو واسع الجري، لسان العرب 6 / 671، الملائد: الخفيف سريع المحييء والذهاب، لسان العرب 8 / 354.

3 - أمالي ابن بشران : لأبي القاسم بن بشران البغدادي، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1418 هـ - 1997 م، 1 / 353، ومسنده أحمد 2 / 261، رَجُلٌ أَجْلَحُ: أي انحسر شعره عن جانبي رأسه، لسان العرب 2 / 164، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ: في لونه سواد وبياض معا، لسان العرب 1 / 499.

4 - الديوان ص 54.

5 - أحناد: زادوه شواءً حتى قطر ماؤه بعد الشوي، ينظر: لسان العرب، 2/625.

6 - صحيح البخاري، ص 1041، رقم 4249، وانظر الحديث مفصلاً في المصدر نفسه، رقم 3169، ص 782، 783.

7 - ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375 هـ - 1955 م، 2 / 337، 338.

8 - الديوان، ص 55.

9 - الخشف: الظبي أول ما يولد، ينظر: لسان العرب، 3/102.

فمن أبي سعيدٍ، قال: مرَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَبِيبَةٍ مَرْبُوطَةٍ إِلَى خِيبَاءٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! حُلْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَ خَشْفِي، ثُمَّ أَرْجِعَ فَنَرِّبُطُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَيِّدُ قَوْمٍ وَرَبِيبَةُ قَوْمٍ»، قَالَ: فَأَخَذَ عَلَيْهَا فَحَلَفَتْ لَهُ، فَحَلَّهَا، فَمَا مَكَثَتْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَتْ وَقَدْ نَفَصَتْ مَا فِي ضَرْعِهَا، فَرَبَطَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَتَى خِيبَاءَ أَصْحَابِهَا فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُمْ فَوَهَبُوهَا لَهُ، فَحَلَّهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ عَلِمَتِ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا تَعْلَمُونَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا سَمِينًا أَبَدًا¹، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُهَا تَسِيحُ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَتَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ¹.

شق القمر وانقياد الأشجار للرسول :

يقول الحميدي² :

البدْرُ شُقَّ لِأَجْلِهِ وَسَعَتْ لَهُ الْأَشْجَارُ سَعِيَ رَوَاحِلِ الْأَحْدَاجِ³

لقد انشق القمر في عهد رسول الله ، يقول الله تعالى : " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَقَرٌّ "4.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ بَيْنِ فُرْجَتِي الْقَمَرِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: اشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ الْمُسْرِكُونَ: سِحْرَ الْقَمَرِ حَتَّى انْشَقَّ. اشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ⁵.

وقد انقادت الأشجار له وأجابت دعوته، ولسعي الأشجار إليه قصتان :

الأولى : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سِرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أُفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَنْزِرُ بِهِ، وَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَغْصَانِهَا، وَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ يَا بَاذِنَ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضِنِ مِنْ أَغْصَانِهَا وَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ يَا بَاذِنَ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْتَصِفِ فِيمَا بَيْنَهُمَا لَأَمْ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا -، وَقَالَ: الْتَمْنَا عَلَيَّ يَا بَاذِنَ اللهِ فَالْتَأَمْنَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحْسَبَ بِقُرْبِي فَيُعِدُّ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ مُقْبِلٍ، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ انْفَرَقَتَا وَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ وَقَفَ وَفَفَةً وَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا⁶.

أما القصة الثانية فهي :

رغبة جبريل عليه السلام في ذهاب الحزن والهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- علي فأراه عجيبة من عجائب الأشجار، فعن أنس قال: جاء جبريل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء من ضربة بعض أهل مكة، قال: فقال له: مالك؟ فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا، قال: فقال له جبريل أحب أن أريك آية؟ قال: فقال: نعم، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك

1 - دلائل النبوة، للبيهقي، 6 / 34 ، 35.

2 - الديوان : ص 37.

3 - الأحجاج جمع جذج، وهي مراكب النساء كالمحفة، ينظر: لسان العرب، 351/2.

4 - سورة القمر : 1 - 3.

5 - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس، لبنان، ط 8، 1986، 6 / 469.

6 - صحيح مسلم، 4-23-06، رقم 3012، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط 6، 1988، 6 / 123، وقوله كالبعير المخشوش: ما وضع في عظم الأنف، لسان العرب 3 / 99.

الشجرة، فدعاها قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبي¹.

معجزة يوم حنين :

يقول الحميدي² :

وفي حنين جنود الله قد نزلوا كل نحا نحو حزب الشرك ملاذا
فقد نزلت جنود الله من السماء يوم حنين، وهم النمل المنثور الذي قد ملأ الوادي وتسبب في هزيمة القوم.

فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: إِنَّا لَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَالنَّاسُ يَفْتَلُونَ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى مِثْلِ الْجِبَادِ الْأَسْوَدِ يَهْوِي مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ فَإِذَا نَمْلٌ مَنْثُورٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةَ الْقَوْمِ فَمَا كُنَّا نَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ³.

التوسل والشفاعة به:

التوسل هو التضرع والاستغاثة، وهو نوعان⁴
الأول : هو التوسل والإيمان به- صلى الله عليه وسلم- وبطاعته.

الثاني : دعاؤه وشفاعته.

ونجد أن مديح الحميدي للرسول يدور في ديوانه حول معنى واحد وغرض واحد، وهو أن الحميدي يعاني في دنياه من ألم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- هو الطبيب الذي سيداوي هذا الألم، فألم الحميدي مجموع في نفسه الأمانة بالسوء وفي شيطانه، والرسول عنده هو المغيث الذي سيخلصه من هذه الضراء وهذا الألم، وسينجيها إذا دخل قبره بشفاعته، فهو يتوسل إلى النبي الكريم بمدحته له لعله ينال شفاعته كما سينالها المادحون في نظره.

وقد وفق الحميدي في مدحه للرسول -صلى الله عليه وسلم- ونعته ببعض ألفاظ الشفاعة، ولكنه في أحيان أخرى يُبالغ كثيراً في نعت النبي بألفاظ لا يجب أن يوصف بها النبي، بل لا يجب أن يوصف بها سوى الله جل وعلا، فلا بأس من كون الرسول (الشافع ، الطبيب ، الدافع للأذى ، راوي الظمان) ولكن لا يمكن نعته بـ (الملاذ، المستعاذ به، الغياث، المستغاث) ، فهذا ليس مشروعاً، وهذه عبادة ليست واجبة ولا مستحبة،

فلا يجوز للمسلم أن يقول لمن مات من الأنبياء أو الصالحين يا نبي الله أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي، أو أنت خير معاذ يستعاذ به، ونحو ذلك مما يفعلُه أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين⁵.
فالحميدي يمدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه طبيب القلوب الذي سيداوي علته التي أصابت قلبه، وسيجبر كسره، ويرفع الذنب عنه، ويتقرب إليه بمدحته هذه علها تشفع له عنده فيشفع له النبي عند ربه، فيأمل أن يقبل الرسول هذه المدحة ويعيده مما سيقابله بعد الممات هو وأصوله وأبناؤه، يقول⁶ :

يا طبيب القلبوب بي أنت أدرى من فؤادي بعلتني ودوائي
الله أهديت مدحة لست فيها بمراء ولا مريد مراء
فاجبر الكسر وارفع الإصر عني أنت كنزي ومطالبي وغنائبي

1 - صحيح مسلم، 6 / 124.

2 - الديوان، ص 54.

3 - حجة الله على العالمين، ص 283، الجباد الأسود : الكساء، لسان العرب 1 / 327.

4 - التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق : إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1992 م، ص 15.

5 - انظر : التوسل والوسيلة، ص 21

6 - الديوان، ص 21

وأجزني شفاعاً وأجرني
ورد المادحون موردك العذ
بك عبد الرحمن نجل الحميدي
فإذا الممات حلَّ أعذني
وبلحدي إذا وضعتُ فسدد
واكس مدحي ثوب القبول وهب لي

حيث تنبو شفاعة الشفعاء
ب ففازوا منه بأروى ارتواء
صار يرجو النجاة يوم الجزاء
من عَدُوِّ يريدي للشقاء
بجوابي نطقي ووسع فضائي
وأصولي لحظ كذا أبنائي

فمدحه هذا مقبول بهذه الأوصاف التي نعت بها الرسول ، فعن أبي هريرة، قال: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصَةً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ "1.

وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»2.

وعن عوف بن مالك قال : قال رسول الله: «إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَخَبَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخَلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَأَخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ» وفي الحديث نفسه «اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»3.

والمعنى نفسه يردده الحميدي حيث يقول4 :

كن لي شفيعا في القيامة من لظي
وإذا الظما أذى الظماء فروني
وامنح مديحا للحميدي منحة
ولكن لا يجوز له أن يشكو إلى الرسول وهو ميت، ثقل ذنبه، فهو يشكو إليه ذلك لأنه -صلى الله عليه وسلم- هو الملجأ الذي يلجأ إليه ليرفع عنه وزره ويحصنه منه، وهذا لا يجوز نعت النبي به، يقول5 :

لك أشكو ثقل وزرٍ أنقض الـ
وإلى ركنك منه ألتجي
كُنْ شَفِيعًا لِلْحَمِيدِي إِذَا
وهو يلجأ إلى النبي بمدحته لينال شفاعته؛ فهو الشافع الحصن لمن أوى إليه، يقول6 :

الشافع النافع الحصن الحصين فمن
المرتجى الملتجا المولى مؤمله
إليك أهدى الحميدي المديح فهب
وهو يجعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- مستعاذا به، مستغاثا به، غيآثا من ضراء قد مسته، وضاق بها ذرعا رغم عيشه في رحب، وهذا لا يجوز ولا يستحب، يقول1 :

لهب تضاعل عنده الشفعاء
من كوثر هو للعطاش رواء
يلق القبول له بها القراء

ظهر منه قد لقيت النَّصَبَا
وإلى حصنك سمت الهربا
ما لظي في الحشر شبت لهبا

أوى إليه نفي عنه الذي أذى
فوق المؤمل حتى قيل أتى ذا ؟
له قبولاً به يرضاه من حاذا

وهو يجعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- مستعاذا به، مستغاثا به، غيآثا من ضراء قد مسته، وضاق بها ذرعا رغم عيشه في رحب، وهذا لا يجوز ولا يستحب، يقول1 :

1 - صحيح البخاري، ص2402، 49، رقم 6201، 99، ومسنده أحمد ، 14 / 446، رقم 8858.

2 - صحيح مسلم ، 1 / 189، رقم 338.

3 - ينظر، مسند أبي داود الطيالسي، 2 / 339

4 - الديوان، ص 23

5 - السابق ، ص 25

6 - نفسه ، ص 54 ، 55

وأنتَ الملائدُ المستعـاذ به إذا
وأنتَ الغيَّاتُ المستعـاثُ إذ الأذى
نبا الأنبيـا في الحشـر من هولـه الصـعب
به عمَّ غمُّ سار في الشرق والغرب
تواردها ذرعاً وإن كنتُ في رَحْبِ
أعنتي من ضراء مسَّت فضقتُ من
فالوسيلة هي منزلٌ للرسول -صلى الله عليه وسلم- في الجنة، ولا تنبغي أن تكون لعبد من عباد الله،
فمن سأل النبي الوسيلة حلت عليه شفاعته².

السمات الفنية لأسلوب الحميدي في الدر المنظم أولاً : مقدمة القصيدة :

انتهج الحميدي في مقدمات مدائحه النبوية نهج الشعراء القدامى من حيث بدء القصيدة بالغزل، وفي الحقيقة هو عُرف سار عليه الشعراء القدامى وقلدهم في ذلك المتأخرون، وهو تصدير القصيدة بنوع من المقدمات، وهذا ما نادى به والتزمه ابن قتيبة ومن بعده ابن رشيق القيرواني من ضرورة البدء بمقدمة قبل الدخول للغرض الأساسي للقصيدة، وقد أطلقوا على القصائد التي تخلو من المقدمات وتتنج إلى الغرض الأساسي مباشرة (البتراء)، وفي ذلك يقول ابن رشيق (ت 463 هـ) : " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة، وذلك عندهم هو: الوثب، والبت، والقطع، والكسع، والاقتراب، كل ذلك يقال.. والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء، وهي التي لا يبتدئ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب"³.
وقد رأى ابن قتيبة (ت 276 هـ) أن ذلك لازماً على الشعراء أن يسلكوا هذا النهج، ولا يخرجوا عن هذا العرف، وفي ذلك يقول : وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام"⁴.
وغزل الحميدي في مقدمات قصائده ليس غزلاً حسياً يصف مفاتن المحبوبة ويتغزل فيها، ولا عجب في ذلك؛ " لأن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضام،..... وي طرح محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار، وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الأدب"⁵.
وقد تنوعت مقدمات الحميدي بين الغزل في النبي، والتقرب إلى جنبه، وبين الغزل في المحبوبة وإعراضه عن صدها وهجرها، وحسن تخلصه من لوم العاذل على هجره محبوبته إلى مديح النبي، وكأن مديحه له -صلى الله عليه وسلم- هو أسمى أنواع الحديث الذي يجب أن يقوله دائماً، ولا يلتفت لغيره، لذلك فقد تعمد ألا يتغزل في مفاتن المحبوبة الحسية، واكتفى بالتعبير عن حزنه من ألم الفراق والهجر، وقد تكرر اسم واحد للمحبوبة في معظم مقدمات القصائد، وهو (سلمي)، وقد اختار هذا الاسم في مقدمته الغزلية؛ ليؤكد أن هذه المقدمة ليست عبثاً أو تقليداً، وإنما أراد أن يسلم بهذه المدحة المحمدية

1 - الديوان ، ص 26
2 - ينظر حديث الشفاعة مفصلاً في صحيح البخاري، ص 1749، رقم 4442، وصحيح مسلم، 1/288، رقم 384، وينظر أيضاً مسند البزار، لأبي بكر البزار، تحقيق : محفوظ عبد الرحمن زين الدين، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط 7، 1994م، 6 / 423.
3 - العمدة في محاسن الشعر وأدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1401 هـ - 1981 م، 1 / 231.
4 - الشعر والشعراء : لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، 1 / 77.
5 - خزنة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق : عصام شقوي، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، 2004م، 1 / 36 .

مما أصابه من ضراء في دنياه، ونيل القبول والشفاعة للنجاة في أخراه، وكأن هذه المقدمة الغزلية تعبر عن رغبته في ترك أيام اللهو وملذات الدنيا بما فيها من التعزل وسيطرة النفس والشيطان، ثم اللجوء إلى من ينفذه منها.

وهنا يتغزل في بداية المدحة معبرا عن حنينه وشوقه كلما هبت ريح الشمال وصَوَّت الرعد بصوته المخيف كلما زاد شوقه للحبيب، وينتقل من ذلك إلى مدح البلد الطيب وقبر النبي، يقول¹ :

كلما هبَّتْ شمال وصبا هام قلبي للقاكم وصبا
وإذا لعل حادى لعلع زادني الشوق إليكم وصبا
وإذا شمت بريفا نحوكم عاد منه لى نحول وصبا
وإذا العاذل فيكم لامنى زدت بالعدل إليكم طربا

ثم ينتقل إلى البلد الطيب ومدح خير الأماكن وهو قبر النبي:

وأرى طيبةً والقبر الذي برباه المجد والفخر ربا
منزل حلّ أجلّ الأنبياء فيه أعلى مُرسلهم رتبا
موطن فيه ثوى الهادي الذي قد حوى الفضل وساد العربا
وأحيانا يبدأ المدحة بالنصح والإرشاد، كأنه يتحدث إلى نفسه بالوعظ من أجل الصبر على الضراء التي مسته من فعل الشيطان والنفس، ويحذر النفس من السير وراءهما، يقول² :

إن رُمّت أن ترد القيامة ناجي قم في الدياجي للمهيم ناج
فاسلك سبيل السالكين فما لمن قد سار في منهاجهم من هاجي
واصبر على وعر الطريق فطالما من بعد وعر جاء سهل فجاج
واحذر أذى كيد اللصوص النفس وال شيطان والاهوا نوى الازعاج
وقد يبدأها بالزجر من الاستمرار في اللهو والمعاصي، والانصراف عن طاعة الرسول- صلى الله عليه وسلم -وكانه يزجر نفسه ثم ينتقل إلى المديح النبوي فيقول³ :

أراك لدى الطاعات ما لك باعث وأنت بعضيان المهيمن عابث
وعمرك في التقصير واللهو ضائع ولقلقك الفحاش بالفحش رافث
وقد تكون المقدمة غزلية مباشرة من أجل الغزل على نهج السابقين، ثم الانتقال منها إلى المديح، يقول⁴:

أسمع من خمرة الحب لا يصحو مقالا لقال زاعم أنه نُصْحُ ؟
وهل لخلي مطمّع في سُلوه وقد طال في متن الغرام له الشرحُ ؟
وفي معظم الأحيان يبدأ المدحة بالمديح مباشرة كما في قوله⁵ :

حادي السرى حث المسير وأدلجا وإذا وصلت لطبيبة بي عرجا
وأنخ مطيّك ثم وانزل في حمى خير الورى البر الرحيم الملتجا
أتقى البرية خاتم الرسل الذي قد فض من ختم النبوة مرتجا
وقال يؤكد أن الغزل إنما يقصد به مدح طه، يقول⁶ :

1 - الديوان، ص 23، 24 .
2 - السابق، ص 35.
3 - الديوان، ص 33، 34 .
4 - السابق، ص 39، 40 .
5 - السابق نفسه، ص 38 .
6 - الديوان، ص 48 .

لَوَحَّتْ بِأَسْمَاءٍ فِي سَعَادٍ وَأَسْمَا
وَالْمَقْصِدُ أَسْمَى وَلِلْمَقْصِدِ قِصَادُ
مَا الْقِصْدُ وَمَا السُّؤْلُ غَيْرُ مَدْحِي طَه
الْفَاخِرُ جَدًّا وَالْأُمَهَاتُ وَالْأَجْدَادُ
وَلَكِي يَتَخَلَّصُ مِنْ لَوْمٍ عَذُولُهُ إِيَّاهُ عَلَى هَجْرٍ مَحْبُوبَتَهُ رَأَى حَسْنَ التَّخْلِصِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ، فَقَالَ¹ :
لَمَّا بَدَتْ كَالْغَصْنِ بَلْ هِيَ أَمِيرُ
كَادَ الْحَسُودُ بَغِيظُهُ يَتَمَيَّزُ
خَوْدٌ إِذَا وَعَدْتُ وَصَالًا أَخْلَفْتُ
وَإِذَا أَخَافْتُ بِالتَّجْنِي تَنْجَزُ
قَمَرٌ لَهَا طَرْفِي وَقَلْبِي مَنْزَلُ
وَلَهَا السُّوَيْدَا حَيْثُ صَارَتْ مَرْكُزُ
حَسَنَاءُ إِنْ بَرَزْتَ يَقُولُ جَمَالُهَا
هَلْ مِنْ بِيَارِزْنِي؟ وَمَنْ ذَا يَبْرُزُ

وفيها :

قَدْ أَوْعَدْتَنِي فِي حَبَائِلِ هَجْرِهَا
فَعَدَا الْعَذُولُ عَلَيَّ هَزْوًا يَهْمِزُ
فَرَأَيْتُ حُسْنَ تَخْلِصِي فِي مَدْحِ مَنْ
فِيهِ يَطْيِبُ الْمَدْحُ وَهُوَ مَرْجَزُ

ثانيا المعجم الديني :

القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسان للشريعة الإسلامية، وهما مرجعان يعود إليهما كل من اشتغل بالبحث الأدبي، ولا عجب في أن تكون لغة المدائح النبوية قد اشتقت من المعجم القرآني، فالتناء على النبي- صلى الله عليه وسلم- ليس بدعا، وإنما جاء من ربه جل وعلا في كتابه العزيز ، وكان هذا نهج الشعراء القدامى، فسار المتأخرون في فلكهم. وقد اتسم المعجم الديني في قصائد الديوان بفخامة الكلمات، ورصانة صياغتها، وقوة سبكها. ومما جاء في الديوان من ألفاظ المعجم القرآني، قوله² :

فاطر الأعداء يس الذي زمر الكفار بالفتح سبا

فقد جمع الشاعر في البيت بين بعض أسماء سور القرآن الكريم فكانت (فاطر، ويس، والزمر، والفتح، وسبأ)، فهو أراد أن يجعل سبب وجود هذه السور القرآنية وما حدث فيها بفضل النبي الكريم بفعل الله تعالى وإرادته كذلك. فقد أوجده الله تعالى وأحسن وجوده وأبدع فيه فهو أكمل البشر، ومن أجل ذلك يؤس منه الأعداء، فذاع خبره فانتصر بالفتح المبين وسبى كثيرا من الكفار. يقول³ :

ولم تخبُ نيران الخليل ولم تَصِرْ سلاما وبردا بعد مستحکم اللهب

أي : فلولا النبي ،وتدبير ربك لوجوده بعد ذلك لم تكن نيران إبراهيم عليه السلام لتخدم، وتكون عليه بردا وسلاما. يقول⁴ :

تبت يداك بذاك العذل لست ترى ميلي إليه وهل مثلي له انبعثا

فهو هنا يزجر العذول الذي يلومه على حبه لمحجوبه وشوقه، فيقول له (تبت يداك)، فهو لا يميل إلا له ولا يشناق لغيره، وهذا في المقدمة الغزلية لمدحته النبوية. يقول⁵ :

1 - الديوان، ص 64 .

2 - السابق، ص 24.

3 - السابق نفسه، ص 26.

4 - الديوان، ص 31.

5 - السابق، ص 34.

رءوف رحيم محسن متواضع لدى السلم شهم، في الحروب مغالته
فهو هنا يمدح النبي -صلى الله عليه وسلم- بصفتين أنعم الله تعالى بهما على سيدنا محمد وهما الرأفة
والرحمة، فيقول الحق سبحانه وتعالى: " بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " ¹
يقول ²:

واذكر لها إن فاخرت قدر المأ ل وبدأها من نطفة أمشاج ³
أي: واذكر لتلك النفس مهما بلغ من تفاخرها فهي جاءت من نطفة أمشاج، كما قال تعالى: "
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " ⁴
يقول ⁵:

وله الكوثر الروي فيروي منه من شا وعنه قال ينحي
وهذا مدح للحبيب بالنهر الذي ينفرد به يوم القيامة وهو نهر الكوثر الذي يروي منه من يشاء ويبعد
عنه من يشاء، وكما يقول جل وعلا: " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ " ⁶
يقول ⁷:

أفي سلوى طمعت تلك إذا كرة ذي صفقة لها خسرا
فهذا الزجر في المقدمة الغزلية ليتخلص من هذا الغزل واللهو بالمفاتن إلى مديح النبي الكريم،
فطمعه في التغزل بالمحبة تلك هي الصفقة الخاسرة، والرجعة الخائبة الكاذبة الباطلة.
وفي التنزيل العزيز: " قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ " ⁸
يقول ⁹:

أتى إلينا بآيات كشمس ضحى لم تخف إلا على مسلوب إدراك
فالنبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- أرسل إلينا من عند ربه بآيات للهداية والعبادة، وهذه الآيات
كانت طريقا لنور جديد في حياتنا، وهذا النور كشمس الضحى.

ثالثا: التكرار اللفظي

التكرار لغة إعادة الشيء مرة بعد أخرى، والكُرُّ: الرَّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرَارُ ¹⁰.
وقد بين ابن رشيق (ت 463 هـ) المواطن التي يحسن فيها التكرار، وتلك التي يكون فيها قبيحا
مستكرها ¹¹.
وهو عند ابن الأثير (ت 637 هـ) " دلالة اللفظ على المعنى مرددا " ¹².

- 1 - سورة التوبة، من الآية 128.
- 2 - الديوان، ص 35.
- 3 - أمشاج: أخلط من المنى والدم، أي ماء الرجل مع ماء المرأة ودمها، لسان العرب 8 / 290.
- 4 - سورة الإنسان، آية 2.
- 5 - الديوان ص 43.
- 6 - سورة الكوثر، آية 1.
- 7 - الديوان، ص 58.
- 8 - سورة النازعات، آية 12.
- 9 - الديوان، ص 107.
- 10 - لسان العرب، 7 / 632.
- 11 - العمدة في محاسن الشعر وأدابه، 2 / 65.
- 12 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1998 م، 2 / 110.

وعند المحدثين هو إعادة بعض العناصر (كلمة / حرف / عبارة / صيغة) في العمل الأدبي مرة أو مرات عديدة وهو أساس الإيقاع بصوره جميعها¹.

ومن مستويات التكرار عند الحميدي ما يلي :

1- التكرار على مستوى البيت :

يقول² :

رحمة الله للخلائق طرا فيه منه رحمة الرحماء

فتكرار (رحمة) هنا تأكيد على صفة عظيمة موجودة في النبي الكريم ، ولا سيما وهو القائل سبحانه وتعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " ³.

فالنبي رحيم في أقواله وأفعاله، وقد دللنا على ذلك من قبل.

وعندما أراد أن يؤكد على أصل النبي ، وأنه ليس بشرا عاديا حتى وإن خلق من ماء وطين، فهو نور شريف تلقاه شريف خرج من آدم ومن حواء، يقول⁴ :

فتلقاه من شريفٍ شريفٍ من لدن آدم ومن حواء

وعندما توسل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- طلب منه الرضا عنه بعد موته حيث لا مال ولا ولد ولا صديق، فدخول القبر يكون مفردا، يقول⁵ :

وارض عني وأرض عني العزما حيث مالي وصديقي ذهبا

وهنا أيضا يؤكد على أصل النبي العريق ونسبه الكريم، فيقول⁶ :

هذا الكريم ابن الكريم لأدم الطيب الأجداد والجدات

وقد يكرر الكلمة مع اختلاف صيغتها، يقول⁷ :

وإذا الموت حلَّ لي بحلٍّ عن لساني يزيل كل عقاص

فقد كرر كلمة الحل مع اختلاف الصيغة ، فإن (حلَّ) الأولى فعل ماض بمعنى نزل أو جاء، والثانية (بحلٍّ) اسم مجرور، وكل ذلك جاء تأكيدا وإحاحا منه لرسول الله بالشفاعة يوم نزول الموت ورحيله لقبره، فيجد هناك بفضل النبي حلا ميسورا لما سيحدث بعد ذلك، وهو حل عقدة لسانه عند موته ونزوله القبر والسؤال بعد ذلك، وهنا تأثر بقوله تعالى " واحلل عقدة من لساني " ⁸، والعقاص الضفيرة التي تلوى ليا.

والتعبير بالفعل هنا ليؤكد أن حدث الموت يتجدد في نفسه لحظة بعد لحظة ، ولا يكاد يتوقف تفكيره فيه.، وهذا يؤكد أن " التكرار يُسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها

" ⁹

وعندما أراد أن يدلل على قدرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وإثبات هذه القدرة، وهذا لا يكون إلا بمعجزاته، فكرر هذه الكلمة، يقول¹ :

1 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط 2، 1984 م، ص 117 ، 118.

2 - الديوان ، ص 6 .

3 - سورة آل عمران : من الآية 159 .

4 - الديوان ،ص 7.

5 - السابق،ص 25.

6 - السابق ،ص 27.

7 - السابق نفسه ، ص 80.

8 - سورة طه ، آية 27.D.

9 - قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، ص 242.

له المعجزات المعجزات فمن يَرُمُ لإفرادها حصرا فمن حصره قضى
والمعنى نفسه واللفظ يكرره في قصيدة أخرى، يقول² :
له المعجزات المعجزات فمن يرم لها حصر أفراد له الحصر لايع³
وهنا يؤكد في مقدمته الغزلية على أن المحبوب هو سكنه، ولا يرى سكونا غيره، يقول⁴ :
صَبَّ صَبًا حَبَّكُم بِهِ سَكْنَا ليس إلى غيركم يرى سكونا
يقول⁵ :

هيهات هيهات ما الخلي كمن وداده في فؤاده كمننا
فتكرار (هيهات) هنا لإفادة السخرية ممن قلبه خال من الحب، وعدم مساواة قلبه بقلب الذي كمن
فيه حبه ولم يبوح به.

2- التكرار على مستوى القصيدة :

قد تتكرر في القصيدة نفسها ألفاظ يهدف من ورائها الحميدي إلى التأكيد على معان معينة في نفسه.
ومن التراكيب والصيغ التي تكررت على مستوى القصائد : أسلوب النداء، الضمائر (أنت - هو) ،
اسم الإشارة (هذا) ، كلمة (لولاه) .
يقول الحميدي⁶ :

وأنت الذي ما ردَّ سائلُهُ بلا ولا ردَّ بالحرمان والذبُّ ذا ذنبٍ
وأنت الملائدُ المستعاذُ به إذانبا الأنبياء في الحشر من هولِهِ الصعبِ
وأنت الغياثُ المستغاثُ إذ الأذى به عَمَّ غَمُّ سارٍ في الشرق والغرب
فتكرار الضمير (أنت) هنا يؤكد على انفراد النبي الكريم بكل هذه الصفات والهبات التي وهبها
الله تعالى له، فالنبي يتصف بالجود وهو لم يرد سائلا ولم يقل (لا) أبداً، وهو الشافع النافع المستغاث به
من هول يوم عظيم.
يقول⁷ :

هذا الذي نيران فارس أطفئت من نوره لا أخدمت بسباتٍ
هذا الذي شهدت ببعثته له شجر إليه سعت وضب فلاه
هذا الذي رتبا رقى لم يرقها ملك ولا رسل أولو عزماتٍ
هذا الذي نسخ الشرائع شرعهُ ومحا هداه حنادس الظلمات⁸
فتكرار اسم الإشارة والاسم الموصول (هذا - الذي) يؤكد على أن هذا المشار إليه جاء معه نور
انبعث بميلاده، وهذا النور قد قضى على الظلمات وأطفأها، وبميلاده حدثت معجزات، وعند بعثته
معجزات أخرى، تأكيدا لصدقه وصدق دعوته ونبوته.
يقول⁹ :

لولاه ما وجد الوجود ولم يُجد غيبٌ ولا أرض حبت بنباتٍ

1 - الديوان ، ص 84

2 - السابق، ص 97.

3 - لايعُ : باطل، لسان العرب 8 / 99.

4 - السابق: 131.

5 - السابق نفسه، ص 131.

6 - الديوان، ص 26.

7 - السابق، ص 27

8 - حنادس الظلمات : الليالي شديدة السواد، لسان العرب 2 / 624.

9 - الديوان، ص 28

لولا ما حامى لولاه ما سام سما وعلا على درجات
لولا ما وقت صفا لولاه ما ذكر الصفا بالحج والعمرات

فتكرار لفظ (لولاه) يؤكد على تمهيد الله سبحانه وتعالى لمجيء حبيبه الكريم ، فكأن الله سبحانه وتعالى قد هياً لظهور محمد بكل ما جاء قبله، ولولا ظهوره بعد ذلك وميلاد هذا النور ما حدث كل ذلك .
وعندما أراد الله-جل وعلا- أن يخص النبي بصفات تميزه عن غيره، فإذا كانت هذه الصفات في جميع البشر، فإنها أعظم وأكمل عند النبي الكريم ، يقول الحميدي¹ :

يا أكرمَ الكرماء يا من جوَّده كلُّ البحارِ لديه كالقطراتِ
يا أرحمَ الرحماء يا من جاءنا بالبشر والتيسير والرحماتِ
يا أحلمَ الحلماء يا من حلَّمه وسع المسىء المكثر الزلاتِ

3- التكرار على مستوى الديوان :

قد تعتمد الحميدي تكرار بعض الصور والتراكيب والمعاني على مستوى الديوان وهذا من باب التأكيد على بعض المعاني التي بثها من خلال مديحه، فتارة يكرر ألفاظاً تأكيداً على معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم- ، وتارة تأكيداً على صفاته الكريمة وشيمه النبيلة، وثالثة يختم قصائده بتكرار تعمده من أجل نيل القبول بمدحته والفوز بشفاعه الرسول- صلى الله عليه وسلم- فنراه في ختام مدحته يكرر الرجاء بنيل القبول والشفاعة له وأصوله وأولاده، فيقول² :

وجد لأصولي والفروع وعترتي وصحبي بعون منك بالغوث غائث
وفي مدحة أخرى يكرر المعنى نفسه فيقول³ :
وكذا أصولي والفروع وصحبنا

ونراه أيضاً يقول⁴ :

ولأصلي كذا وفرعي وصحبي كن لهم بالعطاء والفضل سمحا

يقول⁵ :

وبه أصولي والفروع وعترتي والصحب من مؤذ يسوء أعوذُ
ويؤكد على ذلك أيضاً بالمعنى نفسه في قوله⁶ :
أجز الحميدي بالمديح شفاعه وعلى الصراط أعنه حين يجوّز
وافعل بأصلي ذا وفرعي واحمهم والصحب ما من هولاء أتحرّز

ويمكن أن نسمي هذا المستوى من التكرار التناص الداخلي، وهو " التناص الذي تكون فيه العلاقة بين نصوص الكاتب ذاته"⁷، أو هو " ذلك النوع من المفردات والتراكيب، والصور، والأصوات يحاكي بعضه بعضاً، عبر نوع من تكرر ملحوظ"⁸.

1 - الديوان، ص 29.

2 - السابق، ص 3.

3 - السابق، ص 39.

4 - السابق نفسه، ص 44.

5 - الديوان، ص 57.

6 - السابق، ص 66.

7 - التعالي النصي والمتعاليات النصية، محمد الهادي المنطوي، مقال بالمجلة العربية للثقافة، السنة السادسة عشرة، العدد

32، 1997م، ص 195.

8 - منهج التناص (مدخل في التنظير ودرس في التطبيق)، عبد العاطي كيوان، مكتبة الآداب، ط 1، 2009 م، ص 28.

وقد أحدث التكرار هنا في قصائد الديوان نغما موسيقيا، كما أنه أكد على معنى معين، وهذا المعنى كان وثيق الارتباط بالفكرة الرئيسية التي كان يهدف إليها الحميدي من وراء مدحته، وقد أكدت ذلك نازك الملائكة حينما قالت عن التكرار إن " اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام"¹.

رابعا : من المحسنات البديعية " الجناس " :

الجناس في اللغة " مصدر جانس الشيء الشيء إذا شاكله واتحد معه في الجنس، وفعال مصدر فاعل، ويقال له التجنيس مصدر جنّس؛ لأن فعل مصدره التفعيل، مثل كلم تكليما، وسلّم تسليما، ويقال له التجانس أيضا، وهو التفاعل من الجنس، وتجانس الشيطان إذا دخلا في جنس واحد"².

أما الجناس في اصطلاح البلاغيين فهو " تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وهذان اللفظان المتشابهان نطقا مختلفان معنى يسميان «ركني الجناس». ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة"³.

وقد نوع الحميدي في استخدام هذا الفن اللفظي، فوجدنا عنده الجناس الناقص، وجناس القلب، والجناس المضارع، وقد أكثر من استخدام الجناس اللاحق خشية اللبس في فهم مدلول الكلمات.

ومن أنواع الجناس في " الدرّ المنظم " :

الجناس اللاحق :

وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج⁴، يقول الحميدي⁵ :

صاح عرّج على قباب قباء وارقب خلوة عن الرقباء

فالجناس هنا بين (قباب - قباء)، وهو جناس لاحق؛ لأن الباء مخرجها من الشفتين، والهمزة مخرجها من أقصى الحلق، أبعد من الشفتين"⁶

أما قباء فهو المسجد النبوي الذي بناه بنو عمرو بن عوف من الأنصار، وبعثوا إلى رسول الله فأتاهم فصلّى فيه"⁷

وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يزوره كل سبت، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان لا يصلّي من الضحى إلا في يومين: يوم يقدم مكة فإنه كان يقدمها ضحىً فيطوف بالبيت ثم يصلي ركعتين خلف المقام، ويوم يأتي قباء فإنه كان يأتيه كل سبت، فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلّي فيه. قال: وكان يُحدّث أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يزوره راكبا وماشيا"⁸.

1 - قضايا الشعر المعاصر، ص 231

2 - الجناس في أساس البلاغة" دراسة بلاغية تحليلية، أحمد هندواي هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 2002م، ص 120.

3 - علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 152.

4 - المرجع السابق، ص 159 ، 160.

5 - الديوان، ص 5

6 - تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، 2001م، 1 / 37.

7 - مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، لابن الجوزي، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط 1، 1995 م، 2 / 275.

8 - صحيح البخاري، ص287، رقم 1191.

فقد تعمد الحميدي مديح هذا المسجد المحبب إلى النبي ؛ لأن النبي كان يجد راحته فيه، فأراد الشاعر أن يفعل ما يرضي رسول الله ﷺ بزيارة مكان محبب إليه، وكثيرا ما كان يدعو إليه. وقوله¹ :

قسما بالذي حباه وحياء
ه بحلم وسودد وحياء
فالجناس هنا بين (حباه) و (حياه)، وهو جناس لاحق لتباعد مخرجي الباء والياء، فالباء من الشفتين، والياء من وسط مع وسط الحنك الأعلى²
فقد أقسم هنا بما وهبه الله تعالى إياه، وبما أنعم عليه من صفات أحيته ورفعت قدره عاليا. يقول³ :
هم نجوم بأيهم أبداً أن
نقتدي نهتدي بغير اهتداء
فالجناس هنا بين بين (نهتدي) و (نهتدي)، وهو جناس لاحق لتباعد المخرجين، فالقاف من أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، أما الهاء فمن أقصى الحلق⁴
فأراد الحميدي أن يؤكد على اتباع صحابة النبي ، والاهتداء بهم، ولا عجب في ذلك؛ فالنبي قد قال عن أصحابه :عن" جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-يقول:حدثنا أبو سعيد الخدري قال:قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس،فيقولون :فيكم من صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-فيقولون لهم:نعم،فيُفتح لهم.ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال:فيكم من صاحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فيقولون :نعم،فيُفتح لهم. وفي حديث آخر أخبرنا شعبة عن أبي جمرة سمعت زهد بن مضر بن قال :سمعت عمران بن حصين-رضي الله عنهما-يقول:قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-"خير أمتي قرني،ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم،قال عمران:فلا أدري أدكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا،ثم إنبعدكم قوما يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يفون،ويظهر فيهم السمن".⁵

وقوله⁶ :

وكن شافعي يا ناعفي عند مالكي وكل أصولي افعل بهم ذا تصدقا
فالجناس هنا بين (شافعي) و (ناعفي)، وهو جناس لاحق؛ لتباعد مخرجي الحرفين المختلفين، فمخرج الشين من وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، أما النون فمخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما فوق التنايا،

فهو يتوسل إلى النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- أن يشفع له عند ربه، وينفعه بهذه الشفاعة التي يرجو أن ينالها، وأن يشفع لأصوله وفروعه أيضا؛ تصدقا من النبي الكريم عليهم جميعا.

الجناس المضارع :

وهو " ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج"⁷
يقول الحميدي⁸

- 1 - الديوان، ص 16.
- 2 - المغرب في ترتيب المعرب-، لبرهان الدين الخوارزمي، دار الكتاب العربي، د.ت، 1 / 539.
- 3 - الديوان ص 18
- 4 - شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق : حسين العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط 1، 1999 م، 1 / 84.
- 5 - صحيح البخاري، ص 897، رقم 3649، 3650.
- 6 - الديوان، ص 104
- 7 - علم البديع، ص 161.
- 8 - الديوان ، ص 32.

أغلى وأعلى الورى قدرا ومنزلة رقى لمرقى سواء عنه قد ينثا
فالجناس هنا بين (أغلى) و (أعلى)، والعين مخرجها من وسط الحلق، والغين مما فوق ذلك مع
أول الفم¹،

وهناك تقارب في المخارج، ولقد أراد الحميدي أن يمدح النبي بما منحه الله سبحانه وتعالى به،
فكان أغلى الخلق وأعلاهم قدرا ومنزلة، فهذا تأكيد لصفاته الفريدة.
وقوله² :

وأنت الطبيبُ النافعُ الدافعُ الأذى وطبُّك عن ذي السقم للداءِ رابث
فالجناس هنا بين (النافع) و (الدافع)، وهو جناس مضارع؛ حيث إن مخرج النون من طرف
اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، ومخرج الدال مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا³.
فالحميدي يمدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه الطبيب المداوي الذي يدفع الأذى عنه يوم
القيامة؛ ومن يدفع عنه الأذى ينفعه.

الجناس الناقص

هو " ما اختلف فيه اللفظان في أعداد الحروف، وسُمِّي ناقصا وذلك لنقصان أحد اللفظين عن
الآخر"⁴، يقول الحميدي⁵ :

فيا عمدتي في شدتي أنت عدّتي إذا الهولُ في كل الجوانبِ أغمضا
فالجناس هنا بين (عمدتي) و (عدتي)، وهو جناس ناقص، فالأولى بمعنى ما يعتمد عليه في
الشدائد، والثانية بمعنى الاستعداد للرحيل والتأهب، فهو يعتمد اعتمادا شديدا على الرسول أن يقف بجانبه،
ونيل شفاعته تأهبا واستعدادا للرحيل، وحماية له من هول يوم عظيم.

جناس القلب :

هو " اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف، وهذا الجناس يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف
الآخر من غير زيادة ولا نقصان، ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب"⁶، يقول الحميدي⁷ :

أحمد الحامدين محمود فعل خُصَّ بالحوض واللوا والولاءِ
فالجناس هنا بين (اللوا) و (الولاء)، فاللواء هو لواء الحمد الذي انفرد به النبي -صلى الله عليه
وسلم- بحمله يوم القيامة؛ فكان أكثر الخلق حمدا لربه، أما الولاء فهو طاعة النبي ، فقد قرن الله تعالى
الولاء له سبحانه وتعالى بالولاء لرسوله ، كما في قوله تعالى : " إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ"⁸.

وقد أحدث هذا المحسن في المدائح إيقاعا موسيقيا، ونغما صوتيا رخيما، بحيث لا تكاد تخلو منه
قصيدة.

الخاتمة

- 1 - سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2000 م، 60/1.
- 2- الديوان، ص 34، والريث هو الحبس، انظر: لسان العرب، 30/4.
- 3 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997م، ص 32.
- 4 - علم البديع، ص 160
- 5 - الديوان، ص 84
- 6 - علم البديع، ص 164
- 7 - الديوان ص 6
- 8 - سورة المائدة ، 55 ، 56

يُعد ديوان الدرّ المنظّم في مدح النبيّ الأعظم واحدًا من قوافل المديح النبوي التي وضعت هدفًا في سيرها ، وقد اتضح ذلك الهدف من خلال التطواف داخل هذا الديوان، وقد أبرز البحث جملةً من النتائج والتي من أهمها:

- أبرز الحميدي الصفات الخُلقية للنبي من خلال المواقف التي حدثت في حياته مؤكدًا على مدحه بهذه السمات التي وهبها الله تعالى له.
- تناول الصفات الخُلقية كاملةً طبقًا لما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك تأكيدًا على تمييز النبي عن البشر بالكمال والجمال والحُسن الفريد.
- أكد في مدحه على معجزات الرسول إبان مولده؛ من أجل إبراز النور الذي جاء لمحو الظلام ونشر الهداية.
- ختم معظم قصائد الديوان بالتوسل إلى النبي ، والرجاء في نيل القبول والشفاعة؛ نجاهً له من شيطانه وذنوبه في الدنيا، وخلصًا من هول يوم المشهد العظيم.
- اقتفى أثر الشعراء القدامى من خلال بدء القصيدة بالغزل أو النسيب، إلا أنه أبرز اختلافًا في جعله ذلك المديح وسيلة إيمانية فائزة لحسن تخلصه من الغزل.
- تكرر اسم بعينه للمحبوبة في معظم مقدمات قصائد الديوان، وهذا يدل على أن تغزله لم يكن لذاته، كان يهدف من ورائه السلامة، ونيل الرضا بمدحه للنبي ،ولاسيما وإن كان ذلك الاسم (سلمى).
- برزت ظاهرة التكرار اللفظي كثيرًا في الديوان؛ من أجل التأكيد على مغزى معين، وقد اندرج تحت هذه الظاهرة ما يُسمى بالتناسل الداخلي الذي تكرر في جميع قصائد الديوان.
- وأخيرًا كان مثل غيره من شعراء المديح النبوي، كلفًا بالمحسنات البديعية ولاسيما الجناس، وهو عُرِف المدائح النبوية القديمة، ولكن شعره لم يرق إلى مستوى قصائد المديح النبوي الراقية في عذوبتها وسياقها الفني المترابط، وإن كان يغمرها الصدق في معظم الأحيان.

المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم
- ثانياً المصادر :
- 1- ديوان الدرّ المنظّم في مدح النبيّ الأعظم، لعبد الرحمن الحميدي،المطبعة العامرة الشرفية،مصر،ط1، 1323 هـ/1904م.
- ثالثاً المراجع :
- 2- الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1989م.
- 3- إحياء علوم الدين ، للغزالي، دار المعرفة - بيروت ، د ت.
- 4- الأعلام،لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان،ط7، 1986م.

- 5- أمالي ابن بشران، لأبي القاسم بن بشران البغدادي، ضبط نصه:أبو عبد الرحمن العزازي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.
- 6- البداية والنهاية، لابن كثير ، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988م.
- 7- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الأندلس، لبنان، ط8، 1986م.
- 8- تهذيب اللغة،للهروري، تحقيق:محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط1، 2001م.
- 9- التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق:إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.
- 10- الجناس في أساس البلاغة،دراسة بلاغية تحليلية، أحمد هنداوي هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2002 م.
- 11- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ،للشيخ يوسف النبهاني،ضبط وتصحيح ومراجعة:عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م.
- 12- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق:عصام شقيو، دار ومكتبة هلال، بيروت، دار البحار، بيروت، 2004م.
- 13- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر , بيروت.
- 14- دلائل النبوة، للبيهقي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1 ، 1405.
- 15- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية،لأبي القاسم السهيلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1412هـ.
- 16- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، لشهاب الدين الخفاجي، تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دت.
- 17- سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،2000م.
- 18- سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن ماجة، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، دت.
- 19- سنن النسائي،لأبي عبد الرحمن النسائي،تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م.
- 20- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق:مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1955م.
- 21- شرح السنة، للبعغوي ، تحقيق:شعيب الأرنؤوط،ومحمد زهير الشاويش،المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت، ط2، 1983م.
- 22- شعب الإيمان، للبيهقي، د/عبد العلي عبد الحميدحامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، والدار السلفية ببومباي، الهند، ط1 ، 2003م.
- 23- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث ، القاهرة، 1423.
- 24- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق وتخريج:عبد علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، ط1، 2013م.
- 25- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام الترمذي، تحقيق:سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1993م.
- 26- شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم، لنشوان اليمني، تحقيق:حسين العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر،بيروت-لبنان، دار الفكر،دمشق -سوريا، ط 1 ، 1999م.

- 27- صحيح البخاري، للإمام البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 2002م.
- 28- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1 ، 1991م.
- 29- علم البديع، د.عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1998م.
- 30- العمدة في شرح البردة، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2012م.
- 31- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5 ، 1981م.
- 32- غريب الحديث، لابن الجوزي، تعليق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م.
- 33- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2 ، 1973م.
- 34- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة .
- 35- لسان العرب ،لابن منظور، دار الحديث ،القاهرة، 2003م.
- 36- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق:كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1998م.
- 37- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن،لابن الجوزي، تحقيق:مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط1، 1995م.
- 38- المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1935م.
- 39- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
- 40- مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق:شعيب الأرنؤوط،وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط1، 2001م.
- 41- مسند البزار، لأبي بكر البزار، تحقيق:محمود عبد الرحمن زين الدين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط7، 1994م.
- 42- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود الطيالسي البصري، تحقيق:د/محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط1 ، 1999م.
- 43- مصر العثمانية ،جرجي زيدان،مؤسسة هنداوي،مصر، 2012م.
- 44- المعجم الكبير، للطبراني ، تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.
- 45- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 46- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة ،وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
- 47- المغرب في ترتيب المعرب، برهان الدين الخوارزمي، دار الكتاب العربي.
- 48- منهج التناص (مدخل في التنظير ودرس في التطبيق)، عبد العاطي كيوان، مكتبة الآداب، ط1 ، 2009م.
- 49- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن الهيثمي،تحقيق: عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.

50- موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس المدني، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412

• رابعا المقالات والدوريات :

51- التعالي النصي والمتعاليات النصية، محمد الهادي المطوي، مقال بالمجلة العربية للثقافة، العدد 32، 1997م.

The Image of the Prophet, May God Bless Him and Grant Him Peace, In Al-Dur Al-Manaza in Praise of the Greatest Prophet by Al-Hamidi, An Analytical Study

Dr / Amira Badawi Muhammad

Faculty of Education - Ain Shams University

amira_badwe@edu.asu.edu

Abstract

Prophetic praise is one of the most sincere types of praise, as it is a way for poets to draw closer to the Messenger ﷺ to gain acceptance and intercession to survive in this world from the harm and sins that surround them, and also in the Hereafter from the terror of a great day. In his Diwan, Al-Hamidi followed the path of the poets who preceded him in praise of the Prophet, and the image of the Greatest Prophet was manifested in this Diwan in various axes, the most prominent of which is this research. The research presented the definition of the owner of the Diwan, as well as the definition of the Diwan itself, then turned to an explanation of what the Diwan presented of authentic prophetic praise in terms of the moral image of the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, from multiple qualities such as generosity, mercy, humility, compassion, modesty, forbearance, forgiveness, and forgiveness. The chastity of the tongue, the perfection of attributes and descriptions, and countless other attributes. He also presented the congenital image of his side.

Key words: Prophetic praise-picture of the prophet-congenital traits-verbal repetition-miracles-intercession.